نصيب فرنسا من هذه الحرب

نشرنا في مقتطف يناير خلاصة مقالة للكاتب الانكليزي برنارد فوك موضوعها نصيب انكلترا من هذه الحرب وردت في مجلة لندن . وقد رأينا لهُ مقالة اخرى في جزء يناير من تلك المجلة موضوعها نصيب فرنسا من هذه الحرب فلخصناها بما يلي قال

ان الجهد الذي بذلهُ الفرنسويون والتضحيات التي ضحوها في سبيل وطنهم تفوق كل ما ذكرهُ التاريخ في سبيل محبة الوطن . وهم يفتخرون وبحق لم افتخارهم بمحاربون لتأييد العمران والعدل والحرية . والناظر اليهم يندهش من النهضة التي نهضوها لتخليص بلادهم من يد العدو الذي اجتاحها . ويزيد اندهاشهُ من الفوز الذي فازوهُ في هذا السبيل . فان العدو كاد يصل الى ابواب باريس وفي الثاني من سبتمبر سنة ١٩١٤ اي في مثل اليوم الذي حدثت فيهِ معركة سيدان كانت جيوش العدو قد انتشرت في نصف دائرة من أميان الى فتري الى شالون واحاطت بفردون وتنسي اي باكثر من مضاعف المسافة التي بلغتها بعد معركة سيدان وفي شهر من الزمان صار شمال فرنسا كلهُ من شنتلي الى تنسي في قبضة الالمان . ولكن ذلك لم يضعف عزيمة فرنسا فقاومت عدوها وابعدتهُ خمسين ميلاً عن عاصمتها واوقفتهُ هناك الى ان تمكنت حليفتاها من تعبئة جيوشهما والمبادرة الى معاونتها

مضى على انكلترا سنتان قبلما تمكنت من فرض التجنيد العام على رعاياها وكانت فرنسا في كل هذه المدة تقاوم المانيا وحدها تقريباً مع ان شعبها نصف شعب المانيا ومتاجرها ومصانعها واكثرها في اراضيها الشمالية في يد الالمان حتى امسى في كل بيت من بيوتها مناحة ومع ذلك لم يضعف عزمها ولا فترت همتها ولا ضعف املها بالفوز اخيراً . ولما احتدَّ القتال في جنودها وجنود حلفائها في اول الحرب حتى خيف ان تدور الدائرة عليهم شكت بعض الشكوى من ضعف همتنا ولكن لم يخامرها اقل ريب في مقدرتنا على مساعدتها لانها تعلم ان بريطانيا لا تستنفرُ بسرعة ولكنها متى نهضت لم تبخل بشيء لا بمال ولا برجال لتأييد القضية العامَّة التي يشدها الحلفاء ولا يسمع الآن من فرنسا غير الثناء على الهمَّة البريطانية التي كادت تدرك الهمَّة الفرنسوية او تسبقها

اما نحن الانكليز فاذا سمعنا هذا الثناء من الفرنسويين علينا فيجب ان لا ننسى ان الخط الذي يحاربون هم فيهِ في فرنسا اربعة اضعاف الخط الذي نحارب نحن فيهِ وان الفرنسويين

استدعوا للحرب كل رجل من رجالهم من ابن ١٧ سنة الى ابن ٤٨ سنة واما نحن فلم نستدع الاَّ الذين سنهم من ١٨ الى ٤٢ . ولما اخذنا نفكر في جعل معاملنا تحت السلطة العسكرية كانت فرنسا قد جعلت كل معاملها تحت السلطة العسكرية . ولما كنا ننظر في استخدام بعض نسائنا في الاعمال الحربية كان عشر العمال في الاعمال الحربية في فرنسا من النساء والآن صار ٢١ في المئة من النساء ونسبتهن تزيد يوماً فيوماً . وقد بلغ عدد العمال من نسائنا الآن عشرين في المئة والامر على زيادة لكي لا ندع فرنسا تفوقنا في هذا المضمار لاننا لسنا اقل منها اهتماماً بالفوز اخيراً

وعدد سكان فرنسا اربعون مليوناً فقط وتسع من اغنى ولاياتها واوسعها مصانع في يد الالمان ومع ذلك لا تزال سابقة لنا في مقدار ما تصنعهُ من الذخيرة لكننا كدنا نلحق بها وقد نسبقها في هذا العام . ويظهر مقدار الجهد الذي بذلتهُ فرنسا حتى سبقتنا في عمل الذخيرة من ان الولايات التي استولى عليها الالمان في شمالها سكانها ستة ملايين من النفوس وكان يستخرج منها ٧٠ في المئة من الفحم الحجري الذي يستخرج من كل فرنسا و٩٠ في المئة من حجارة الحديد و يسبك فيها ٨٥ في المئة من الحديد الزهر و ٧٥ في المئة من الحديد الصلب (الفولاذ) . فهذه النفوس وهذه المعادن فقدتها فرنسا كلها ومع ذلك استطاعت ان تصنع من الذخيرة اكثر مما نصنع نحن فاخذت الفحم من بلادنا والفولاذ من بلادنا ومن اميركا مع ما في النقل بحراً من الخطر . وهي تصنع الآن من الذخيرة نحو خمسين ضعف ما كانت تصنعهُ في بداءة الحرب ولا تزال مهتمة لتزيد هذا المقدار ايضاً

وقد زادت فرنسا على شعبها الضرائب ٣٥ مليوناً من الجنيهات في السنة مع ما نقصتهُ بسبب احتلال الالمان لاغنى ولاياتها . وهي تنفق الآن على الحرب ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات كل يوم وقد بلغ ما انفقتهُ ٢٤٤٠ مليوناً من الجنيهات حتى آخر سنة ١٩١٦ واستطاعت ان تقدم بهذه النفقات كلها وان تساعد بعض حلفائها بالمال ايضاً فاقرضتهم ٦٦ مليوناً من الجنيهات لان الشعب الفرنسوي استخرج ما عبأهُ باقتصاده من الذهب واشترى به سندات حكومته حتى بلغ ما عندها من الذهب مئتي مليون جنيه وزاد اقتصاداً على اقتصاد لكي يستطيع ان يقدم الى حكومته ما تحتاج اليهِ من المال وجاد الوف منهُ بنصف دخلهِ السنوي

والفرنسويات المشهورات بتأنقهن في الملبس عدلن عن الانفاق على ملابسهن واخذن كل الاعمال البيتية وغير البيتية على عاتقهن ما دام رجالهن في الحرب . وهن الآن من امهر

عمال الذخيرة وقد نيطت بهنّ اعمال الزراعة فيقمن بها ولو سقطت قنابل المدافع على مقربة منهنّ ونيط بهنّ ايضاً كنس الشوارع وفتح الدكاكين وسائر الاعمال التي كان رجالهنّ يتعاطونها

ويظهر تأثير هذه الحرب الادبي في فرنسا على اشدّه باقلاع العمّال الفرنسويين عن الاعتصاب وكل ما يتمأزّ به وقد كان بالغاً حدهُ قبل الحرب . وبما اظهرهُ نساء بل من الصبر على المكاره وقد اجلاهنّ العدو من بيوتهنّ كما كان القدماء يجلبون الاسرى من البلاد التي يحتلونها . وبما اظهرهُ نساء فرنسا كلها من الصبر بعد ان فقدن رجالهنّ واولادهنّ

وكم من والدين قتل اولادهم كلهم كما قتل اولاد الجنرال ده كاستلنو الخمسة ولكن ذلك لم يضعف عزيمة فرنسا بل زادها مضاء . وقد كانت همتها تبدو على اشدها كما اشتدّ الخطر عليها وضاق المأزق الذي هي فيهِ . ولما نادتها حكومتها في بداءة الحرب قائلة « يطلب من البلاد ان تعطي كل ما عندها من الرجال والاموال وان تتشدّد وتتقوّى وتستعين بكل ما فيها من العلم والتدريب وتشق بنفسها وتنسى كل ما مضى ولا تهتم الاّ بالمستقبل وتتجه الى الامام » اجابتها ان سبيلنا معروف وعزمنا وطيد فلا بدّ من ان نحرز الظفر عاجلاً او آجلاً

لما احدق العدو بفردون بجيشهِ الجرار وصبّ عليها مجانق تقتحم حاسباً ان فرنسا تعجز عن مقاومتهِ وقفت تلك المدينة في وجههِ كسد من حديد وآلت حاميتها ان تحتفظ بها ولو سفكت كل نقطة من دمها . ولما آن الاوان استرجعت فرنسا في بضع ساعات ما اخذهُ الالمان منها هناك في ستة اشهر . ما اشد عزيمة فرنسا وما اعجبها . هذه هي فرنسا التي جهلها الالمان فزعموا انها شاخت واشرفت على الاضمحلال

هذه القوة المعنوية التي بعث من حليفتنا الباسلة هي من اهم مزاياها ولولاها لما استطاعت المقاومة الى الآن مع ما كانت فيهِ من عدم الاستعداد للحرب . ولا استطاعت ان ترسل الى ميدان القتال جيشاً كبيراً ومعهُ كل ما يلزم لهُ من الاسلحة والذخائر . ولا يزال هذا الجيش مع كل ما اصابهُ من النقص من اعظم جيوش الحلفاء . وفي اوقات نفسهِ بقيت عمارتها البحرية محافظة على بحر الروم وعلى سواحلها من جهة الاتلنتيك . ولولا مساعدة فرنسا لنا بحريًّا لكانت مهمتنا اشق مما هي وفي فرنسا الآن مليونان ونصف من جيوش الاعداء ومع ذلك استطاعت ان ترسل جانباً من جيشها الى غاليبولي وهي اول من ارسل جيشاً الى سلانيك وبسعيها حفظ الجيش الشرقي من الاضمحلال

والآن القيادة العامة في سلانيك للجنرال فرنسوي وفي البحر المتوسط لاميرال فرنسوي ولما اشتدت الازمة على روسيا ذهب اليها الجنرال بو وجماعة من رجاله وتولوا تنظيم جيشها وكذلك لما ضاقت حلقات الحرب على رومانيا بعثت اليها فرنسا بالضباط يقودهم الجنرال برتلو . والطيارون الفرنسويون منتشرون بطياراتهم في كل ميادين القتال ما عدا الميدان البريطاني . ومع كل ما يطلب من الفرنسويين في بلادهم تجد انهم جادوا بثمار عقولهم على كل حلفائهم فنحن في انكلترا مدينون لهم بكثير من الاصلاحات في الطيارات ويحق لفرنسا ان تفتخر وتقول انها خدمت كل حلفائها

لما رأت فرنسا ان الالمان استولوا على مناجم الفحم الحجري في الولايات التي احتلوها استخدمت قوة المياه المتحدرة من جبالها بدلاً منها بعد ان حوّلتها الى كهربائية وادارت بها معاملها وقام الكيماويون الفرنسويون واستنبطوا اصباغاً اجود من الاصباغ التي كانت ترد من المانيا . ولما استدعت الحرب شبان فرنسا كلهم جاء الكهول والشيوخ المتقاعدون من مستعمراتها المختلفة وقاموا هم والنساء بادارة الاعمال المختلفة . ورضي الفرنسويون عن طيب نفس ان تضاعف الضرائب على بيوتهم واراضيهم ومركباتهم وخيولهم وكل ما عندهم . وابطل المعدّون عيدهم السنوي الذي كانوا يعيدونهُ في اول شهر مايو واستقروا على العمل خدمةً لبلادهم وزادوا همةً ونشاطاً لكي تنال منهم بلادهم اقصى ما يستطيعون عملهُ

ولما رأى الالمان نشاط الامّة الفرنسوية من اطفالها الى شيوخها اضطروا ان يعترفوا رغم انوفهم ان ما قالوهُ قبلاً من ان فرنسا شاخت وقاربت الاضمحلال انما هو قول هراء قالوهُ لمجرّد الايهام

نعم ان همة فرنسا لم تتقارع مع كل ما قاسته من الشدائد وما لقيتهُ من الفشل بل زادت قوةً وثقة حتى ازدرت كل ما عرضهُ عليها الالمان من شروط الصلح وكيف لا تزدريها وهي لم تنسَ ما اصاب مدنها من الخراب ورجالها من القتل ونساءها من الاهانة . ولا يمكن ان تنقض عهودها حلفائها بل لا بدّ لها من الاستمرار على الحرب از ان تخمد شوكة المانيا وتنزع منها روح العدوان الذي هو أكبر خطر على العمران . لا بدّ لها من ان تحارب وتناجز عالمة ان كل ويلات الحرب لا تقاس بالضرر الذي يناله اذا نجا الالمان من يدها من غير ان يحل بهم ما يستحقون من العقاب

تأججت نار الحرب في فرنسا وفرنسا مستيقظة وهمتها شماء . توالى اطلاق المدافع على مدينة ريمس ومدارسها لم تقفل بل انتقل التلامذة والتلميذات مع معلماتهم الى الاقبية التي

تحت الارض وواظبوا على دروسهم . هناك تعلم ابناء فرنسا وبناتها وشاركوا ابناءهم في الحماسة الوطنية لانهُ لم ينقضِ نهار الاَّ سمعوا فيهِ درساً متعلقاً بالحرب . نعم ان ابناء فرنسا وبناتها الذين تعلموا مبادئ العلوم والقنابل تساقط على شوارع ريمس سيديمون ما اشتهر بهِ الفرنسويون من نشر لواء العلم والعرفان في اقطار المسكونة الاربعة

نحن في البلاد الانكليزية يفصل البحر بيننا وبين المانيا فلم يستطع احد من الاعداء ان يطأ ارضنا ولذلك يصعب علينا ان نتصور ما عانتهُ فرنسا منهم وما جاش في نفسها من البسالة لصدم — البسالة التي اوجبت على كل بيت ان يجود بكل ابنائهِ ثم يخفي حزنهُ في اعماق صدرهِ حينما يأتيهِ نعيهم . نحن في انكلترا عندنا ملايين من الرجال لم يدخلوا ميدان الحرب حتى الآن اما في فرنسا فلم يمتنع عن الذهاب الى الحرب الاَّ الذين لا غنى عنهم للقيام بسائر الاعمال

في الخريف الماضي استثنينا ٣٦٠٠٠٠٠ رجل من الخدمة العسكرية اما فرنسا فاستثنت ٥٦٠٠٠٠ لاغير ومن المحتمل انها لا تستثنيهم سنة ١٩١٧ بل تعتمد في تشغيل مناجمها ومعاملها على النساء والشيوخ الذين سنهم من ٤٨ فما فوق

فخليق بفرنسا ان تلتفت الينا وتقول لنا ان الامَّة التي جادت بكل رجالها للحرب وبكل كنوزها للدفاع عن حوزتها وحوزة حلفائها واستخدمت كل نسائها في ما يحفظ حياتها لقد قامت بكل ما يطلب منها وصار عليكم ان تقتفوا خطواتها وتجودوا بكل رجالكم لانقاذ العمران مما يتهددهُ من الاضمحلال . ولا يحتمل ان يقع صوتها على آذان صماء بل علينا ان نجاريها ونقابل الحمة والعزيمة بالحمة والعزيمة ونبذل اقصى ما نستطيعهُ من الجهد اقتداء بالامة الفرنسوية

هذا ما كتبهُ كاتب انكليزي منوهاً بمقدرة فرنسا واستبسالها في هذه الحرب بعد ما كتب ما كتبهُ عن انكلترا ومقدرتها واستبسالها ومن المحتمل ان يكتب مثل ذلك عن روسيا وايطاليا وسائر الحلفاء . ونوكتب عن الالمان وحلفائهم لظهر انهم بذلوا ما بذلهُ الانكليز والفرنسويون او اكثر منهُ . فالى متى تستطيع هذه الدول البذل من الرجال والمال . لا شبهة ان لكل شيء حداً وان الاستمرار على هذه الخطة لا يحتمل ان يدوم سنين كثيرة . ويظهر من دلائل شتى ان المتحاربين سيضطرون الى طرح السلاح في غضون هذه السنة وان الصلح سيبنى على قواعد تمنع نشوب الحرب سنين عديدة بعد الآن